من رسائل لسان الدين بن الخطيب

كتاب

الاشارة إلى أدب الوزارة

في السياسة

كانت آثار لسان الدين ابن الخطيب وماتزال عنوان ثقافة ، ورمز حضارة ، وظرف لغة ، وينبوع أدب وفكر . . ومنذ أن جعل أبو العباس المقّري مادة كتابه « نفح الطيب » حياة ابن الخطيب واخبار وطنه وآثار قلمه والناس يتسابقون إلى البحث والتنقيب عن آثار هذا الرجل الذي شغل الناس ميتاً اكثر مما شغلهم حياً . وفي كل يوم ينمو محصول ابن الخطيب من الدراسات والأبحاث وتعرف آثاره المقبورة طريقها الى النور .

واسهاماً في هذا المحصول يحلو لي اليوم أن أقدم الى قراء مجلة « مجمع اللغة العربية » هذه الرسالة التي عثرت عليها في أوراق مخطوطة يرجع تاريخ كتابتها الى أواخر القرن التاسع الهجري . وهذه الأوراق هي في الحقيقة قسم من كتاب ابن الخطيب الذي سماه : (ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب) وجعله مجموعة من رسائله وخاطراته وبعض مقاماته ووصاياه . ورسالة ابن الخطيب هاته التي سماها كتاب « الإشارة الى أدب الوزارة » تقع ضمن هذه المجموعة .

ولا أريد أن أحلل أهمية هذه الرسالة من الناحيتين الفكرية والادبية ، ولا أريد أن أسرف على نفسي وعلى القراء الاعزاء في التعليقات اللغوية على

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الالفاظ والعبارات التي أدى بها ابن الخطيب ما كان يريد أن يقوله في هذه الرسالة .

كما أن اسلوب ابن الخطيب في هذه الرسالة وفي غيرها معهود معروف لا أضعه موضع الاستحسان أو الاستقباح لأنه اسلوب عهدناه في عصره ومصره.

وكل ما أريد أن أقول إن هذه الرسالة قسم من تراث ابن الخطيب الذي مازال مخطوطاً الى الآن . عثرت عليه بخط رديء ملتو كادت يد الناسخ تمسخه مسخاً . فبذلت جهدي لاستخراج النص في صورته الحقيقية حسب الامكان .

وأملي أن يجد في هذا النص دارسو الأدب الاندلسي ، ودارسو ابن الخطيب على الخصوص ، صورة طريفة لتفكيره وتعبيره .

وقبل أن أنهي هذا التقديم يجدر بي أن انبه هنا قارىء هذه الرسالة الى أن ابن الخطيب كتب رسالة أخرى شبيهة بهذه سماها مقامة في السياسة وهي منشورة في نفح الطيب ج ٦ ص ٤٣١ من طبعة بيروت .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كتاب الاشارة إلى أدب الوزارة

في السياسة

أما بعد حمد الله الذي جل ملكه أن يؤازره الوزير ، وعز أمره أن يدبره المدبر أو يؤيده الظهير ، والاستعانة على الوظائف التي يضطر اليها ويعتمد عليها فهو الولي النصير ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذي له القدر الرفيع والفخر الكبير ، والرضى عن آله وعشيرته فحبذا الآل والعشير . فان من دعا الى الله ، أيها الوزير السعيد ، بعصمة يضفى عليك لباسها ، وعزة يصدق لك قياسها ، وأيام يروض لديك شماسها ، ويدفع بيمن نقيبتك باسها ، فانما دعا للدولة بتأييدها ، وللملة بتمهيدها ، وللمملكة بتجديدها ، فقد ظهر من عنايته بك اختياره ، ومن حسن أثره في نصرك إيثارك ، وهو الكفيل لك بالمزيد من آلائه ، وموصول نعمائه .

وإني لما رأيت ربَّك دَيْناً يجب علي قضاؤه ، ولايجمل بي الغاؤه ، تخيرت لك في الهدايا مايملأ اليد ويصاحب الأمد ، وينجد العقب والولد ، فلم أجد أجدى من هدية الحكمة التي من أُوتيها فقد أوتي خيراً كثيرا ، ومن أهِّلَ لرتبتها السامية فقد أحِلّ محلاً أثيرا ، والوصاة التي تنفعك من حيث كنت وزيرا ، والموعظة التي تفيدك تنبيهاً من الغفلة وتذكيرا ، فاخترعت لك وضعاً غريبا ، وعرضاً قريبا ، ان لقيت به ماجمح من أخلاقك قواك وألانه ، وأنهج لك الصواب وأبانه ، جانحاً الى الاختصار ، عادلاً عن الإكثار ، منسوباً الى بعض الحيوان على عادة الأوّل ممن حذق في السياسة من قبلي ، أو ذهب لما ذهبت اليه في فعلي ، فقلت وبالله العون والقوة ، ومنه نلتمس السعادة المرجوة .

حكى من يكلف برعي الآداب السوائم ، ويعنى باستنزال الحكم الحوائم ، ويقيد المعاني الشاردة على ألسنة البهائم ، أن نمراً يكنى أبا فروة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ويعرف بالمرقط ، كأنه بالنجوم منقط ، شثن الكفين ، بعيد ما بين العينين ، كأن ذناباه ذؤابة كوكب ، أو جديلة مركب ، وكأن المجرة أوردته غديرها ، والثريا نشرت عليه دنانيرهـــا ، عظيم الوثوب والطفور ، حديد الناب والأظفور ، خِن[1] نجد وغور ، وكرة حور ، وجرم ثور ، في مسلاخ سنور ، استوزره ملك الوحوش ، وقلده تدبير الملك وعرض الجيوش ، فحل من ذلك الأسد ، محل الروح من الجسد ، وكفاه ماوراء بابه ، ودافع الاعداء من جنابه ، ووفر من جبايته ، وأجرى رسوم عزه وابايته ، واخلص له عقيدة نصحه ، وتبرأ من شين الغش وقبحه ، حتى عمّت الهيبة وخصت ، وشرقت الاعداء وغصت ، وعرفت الوحوش أقدارهـــا ، والتقت السياسة مرارها ، وأمنت السبل والمسالك ، وخاف الملوك سطوة الممالك ، وحسنت الاخبار عن سيرته ، وشهدت بالعدل ألسن جيرته ، فلمـــا اسن واستسن ، وأنكر من قوته ماعرف ، وقارب من مدى العمر الطرف ، فمال مزاجه وانحرف ، وكعّ عن الملاذ وانصرف ، فأصبح متنه هزيلا ، وجسمه ضئيلا ، ونشاطه قليلا ، ورأى عبء الوزارة ثقيلا ، إن الحق أقوم قيلا ، دخل على الأسد خلوة مشورته ، وخرج عن ضرورته ، وأقام الحق في صورته ، وقال :

أيها الملك السعيد ، عشت مابدالك ، وحفظ ميزان الطبائع عليك اعتدالك ، ولازلت مرهوب السطا ، بعيد الخطا ، قائماً في جهاد الدعة أمن القطا . وهن من عبدك العظم ، وضعف الافتراس وساء الهضم ، وكذا ينتثر النظم ، وبان في آلة خدمتك الكلال ، واستولى الهرم والاضمحلال ، وأربأ بملكك عن تقصير يجنيه ضعفي ، وإن عظم لفراق سدتك لهفي ، فسوّغني التفرغ لمعادي ، والنظر في بعد طريقي وقلة زادي ، واستكف من يقوم بمهنتك ،

(١) الخِن في اللغة : السفينة الفارغة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وينوء بعبء خدمتك ، فما على استحثاث الأجل من قرار ، وما بعد العشية من عرار :

من عاش أخلقت الأيام جدتَه وخانه ثقتاه : السمعُ والبصرُ

وقد علم الذي بيده النواصي ، وعلمه المحيط بالأداني والأقاصي ، وستره قد شمل المطيع والعاصي ، أنني ماخنت أمانته بخون أمانتك ، ولا أليت جهداً في إعانتك ، ولا اقتحمت بأمرك حداً من حدود ديانتك ، ولا تعمدت جلب ضر ، ولا خلطت حلو النصيحة بمر ، ولا استنفدت لك قلب حر ، ولا استأثرت لك بمال ، ولا كنت يوماً لصدك بممال ، ولا تلقيت مهمك باهمال ، ولا ضاق لي عن خلقك ذرع احتمال ، ولا أعملت في غير رضاك وطاعتك حركة يمين ولا شمال ، فقال له الأسد : أيها الوزير الصالح ، حسن جزاؤك ، كما وضح للصدق اعتزاؤك ، ولحقت بالعوالم الشريفة مقدماتك المفضلة وأجزاؤك ، قلت صوابا ، واستوجبت منا ثناء ومن المعبود ثوابا ، ولو كان شيء في وسع ملكنا جبره ، لبذلنا لك العزيز وهان علينا أمره ، لكن التحليل على عالم التركيب محتوم ، والمصير معلوم ، والفراق دأبيُّ الألقاب والرسوم .

اسمع فقد أسمعك الصوت إن لم تبادر فهو الموتُ[1]
نل كل ما شئت وعش ناعماً آخر هـذا كله الموتُ

وقد أمرنا بعهدك لولدك ، ونقلنا الوزارة من يدك إلى يدك ، ورجونا ألا تعدم حسن مقصدك ، من شقة نفسك وسليل جسدك . وكان للنمر جروٌ قد استكمل سن الوقوف ، واتصف بالانقطاع على الحكمة والعكوف ، مختار الأمومة والغراسة ، صادقة فيه أحكام النجامة ومخايل الفراسة ، كلفٌ بالنظر والدراسة ، كريم الطبع ، رحيب الضرع ، طيب الأصل سامي الفرع ، لاتؤوده المعضلات ، ولا تواقف فطنته المشكلات ، ولا تجاذبه الشهوات ، ولا تطرق كماله الهفوات ، حانٍ على الرعية ، حفظة للشروط السياسية

(١) لعلها : فهو الفوت ، تلافيا للابطاء . وكذلك ورد في ديوان ابي العتاهية « تحقيق الدكتور شكري فيصل » لجنة المجلة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المرعية ، قد افرغ في قوالب الكمال جوهره ، وتطابق مخبره ومظهره ، وتفتق عن كمال العفاف وحسن الأوصاف زهره ، فاتخذ الملكُ صنيعاً نفض له الأطراف ، واستقدم الأشراف ، واستدعى قومة الجهاد ، وطوائف النساك والزهاد ، واحتفل الوليمة ، وأفاض النعم العميمة ، واستحضر النمر وقد تحلى بحلية متماسك ، فأعلن في الجمع برضاه عن سيرته ، واعترف بنصح حبيبه وفضل سيرته ، وأعلن بتسريع أوبته ، وقرب القربان بين يدي توبته ، وحفت به أرباب الديانة ونساكها ، وقومة الشريعة الذين في أيديهم ملاكها ، فرفعوه على رؤوسهم وأكتادهم ، حذو معتادهم ، وجهروا حوله بصحفهم المحفوظة ، وأدعيتهم الملفوظة ، ونسكهم المجدودة المحظوظة ، حتى أتوا به هيكل العبادة ، ومحل أهل النسك والزهادة ، وخدمة الكواكب السادة ، والمتشوقين إلى السعادة ، والمنسلخين عن كدرات سوء العادة ، وقصده ولده يستفتح بدعائه العمل ، ويستدني بوصاياه الأمل ؛ فلما فرغ النمر من استقبال محرابه ، وقد تجرد من العلائق تجرد السيف من قرابه ، جثا الولد لديه ، ثم سجد بين يديه ، وقال بعدما أطرق ، وطرفه من الرقة قد اغرورق ، ونور السعادة فوق جبينه قد أشرق :

أيها الولي الذي قُرنت بحق الباري حقوقه ، فما في المنعمين من يفوقه ، أوضحت لعلة ايجادي مذهبا ، وكنت لنفسي الجزئية باتصال العقل الكلي سببا ، ثم كلفت وكفيت ، وعند تقاصر الطباع وفيت ، ثم داويت من مرض الجهل وشفيت ، وحملت على أفضل العادة ، وأظفرت اليد بعروة السعادة ، وأنا إلى وصاتك اليوم فقير ، ورأيي في جنب رأيك حقير ، ودعاؤك لي وليٌ ونصير ، ولحظك في تصرفاتي القاصرة ناقد بصير .

فأقبل عليه بوجهٍ بيّضه الشيب والنسك ، وأخلاق تضوّع من أنفاسها المسك ، وتبسم تبسم الذهب الابريز أخلصه السبك ، وقال :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ياولدي الذي رجوته لخلف شخصي ، وتتميم نقصي ، ونقل الحكمة عني ، وستر الجزء الأرضي مني ، طالما ابتهلت إلى الله في سدادك ، بعد تخير وعاء ولادك ، واستدعيت حكماء الهياكل المقدسة لارشادك ، فلو استغنى أحد عن موعظة من نوم ، أو سداد رأي يعصم من لوم ، أو استشعار مناصحة تجر ثناء قوم ، واستعراض تجربة تغني عن سوم ، لكنت بذلك خليقا ، ومن أسر الافتقار طليقا ، لكن الانسان لما يؤيده ذو فاقة ، ومتصف بافتقار إلى غيره وإضاقة[1] ، وليس له بالانفراد مع كونه مدنيا من طاقة ، ومتى ظن بنفسه غير ذلك فهو حماقة ، وبحسب جلالة ما يحاوله أو يحاوره ، يكون افتقاره لمن يفاوضه أو يشاوره ، وقد ثُبِّتَ من الوزارة إلى منزلة لاتطمئن بمن نبذ طاعة الحق وتقواه ، وأرضى نفسه واتبع هواه ، فان قهرت من الشهوة المردية عدوك ، وبلغت من ملكة الهوى مرجوك ، والفت قرارك في ظل الحكمة وهدوك ، تَذَلَّل لك امتطاؤها ، وتهنأ عطاؤها ، وطاب فيها خبرك ، وحسن عليها أثرك ، والله يزرك ، وإلا فلست بأول من هوى ، ورمد بعدما شوى ، وأنا موصيك ، والله يبعدك من الخطل ويقصيك ، ومبين لك قدر هذه الرتبة بين الأقدار ، ثم جالب بعض شروط الاختيار ، ثم حاصر الوصاة بحسب الامكان ، في ستة من الاركان ، وأسال العالم بفاقتي إلى سداد فعلك وقولك ، الغني عن قدرتك وحولك ، أن يجمع لك من مواهب توفيقه التي لاتحصى بالعد ، ولاتنال بالكد ، ويتكفل برضاه عنك حتى تحب ما أحبّ لك ، وتكره ما كرهه منك ، وأن يختم مدتك المتناهية بأسعد ماانتهت إليه آمالك ، وتطاول نحوه سؤالك ، فهو حسبي وحسبك ونعم الوكيل .

---

(١) الاضاقة : الافتقار .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

باب بيان قدر رتبة الوزارة في الأقدار

وبعض شروط الاختيار

اعلم ياولدي أن هذه الرتبة لمن فهم وعقل ، مشتقة من الوزر وهو الثقل ، لأنها تحمل من عبء الملك وثقله ، ماتعجز الجبال عن حمله ، وهي الآلة التي بها يعمل ، وبحسب تباينها يتباين منه الأنقص والأكمل ، وعصاه التي بها يهش ، ويحتطب ويحش ، ويلتقم ويمش ، ويجمع ويفش ، ومخلبه الذي به يزق الفرخ ويحرس العش ، ومنخله الذي يعرف به من يناصح ويغش ، ومرآته التي يرى بها محاسن وجهه وعيوبه ، وسمعه الذي يتوصل بحاسته لمعرفة الاشخاص المحجوبة ، واذا فسد الملك وصلح الوزير ، ربما نفعت النيابة واستقام التدبير ، وصلاح الامر بعكس هذه الحال ، محسوب من المحال ، لانه الواسطة القريبة ، ونكتة السياسة الغريبة ، وموقعه من الملك موقع اليدين من الجسد ، اللتين في القبض والبسط عليهما يعتمد ، وقالوا : الملك طبيب والرعية مرضى ، والوزير تعرض عليه شكاياتهم عرضا ، والنجاح مرتبط بسداد عقله ؛ وصحة نقله ، فان اختل السفير ، بطل التدبير ، واذا تقرر وجوب الامانة ونصبها ، وعقدها وعصبها ، وكان ضرورتها الى الوزارة هذه الضرورة ، ومنزلتها منها هذه الصورة ، وهي في الواجب شرط ، ولا يستقيم له بغيرها ضبط . كيف لايكون قدرها خطيرا ، ومحلها اثيرا ، وقول النبي الذي اصطفاه الله برسالته وبكلامه ، واختصه بخصيص[1] اكرامه ، مع كونه معصوماً بعصمة ربه ، غنياً بدفاعه متاناً بقربه : « واجعل لي وزيراً من أهلي. هارون أخي . اشدد به ازري .واشركه في امري» دليل على محلها من شد القواعد ، واقامة الشواهد ، وإجراء العوائد ، واستمرار الفوائد ، ومدافعة المكايد ، الى غير ذلك من الآثار المجلوة ، والمحاسن المتلوة ، والاشعار بان المنصب منصب الاخوة .

---

(١) مصدر خص .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فصل

واعلم أن الاولين من حكماء يونان ، في سالف الزمان ، كانوا يعرفون فضل هذه المهنة على المهن ، ويجعلون تعظيمها من الشرائع والسنن ، ويتحققون نجباءها في المعادن الشريفة ، والبيوت العتيقة والاحساب المنيفة ، ويختبرون نصب الموالد في ابناء اهل الترشيح ، ويعنون فيها بالنظر الصحيح ، فمن قامت على صلوحه الشواهد،وشهدت باهليته الموالد ، عُيّن في الارزاق قسمه ، واثبت عند الثقات اسمه ، ثم يؤخذون بالتعليم والدراسة ، ويُتعاهدون بالآداب تعاهد الغراسة ، ثم يعرضون عند الترعرع على أهل الفراسة ، فمتى تأكد القول ورجح ، وبان في أحدهم الفضل ووضح ، خُرِّج ودرب ، ومرن وجرب ، ثم استعمل وقرب .

فصل

وكان الوزراء يختارون من الجواري للمباضعة مَنْ ظهر منها فضل التمييز ، واخلصها الاختيار خلوص الذهب الابريز ، ولا يغشونهن في سكرٍ مسقط ، ولا فرح مفرط ، ولا كسل مقعد ، ولا حزن مفسد ، ولا غضب مبرق مرعد ، واذا همّ بطلب الولد استفتى الكاهن ، في اختيار الوقت المراهن ، فلا يطلق له ذلك الا في الاوقات المختارة ، والنصَب الخليقة بتلك الاشارة ، وبعد اصلاح القمر والشمس ، والكواكب الخمس ، واستحضار الهيئات النابهة ، والاشكال المتناسبة المتشابهة ، وتقريب القرابين بين يدي الآلهة ، ثم يلقى الجارية وكلاهما يقول قولا منقولا عن الصحف الموصوفة ، والكتب المقدسة المعروفة ، معناه ، يامن قصرت الالباب عن كنهه ، وعنت الوجوه لوجهه ، قد اجتمعنا على مزج موادّ لانعرف ما تحدث منها ، ولا ماتظهره عنها ، وتلقينا توفيقك من سعينا بمقدار المجهود ، وانت مَلاذُ الوجود ، ومُفيض الجود ، وليس تضرعنا لك بالمسألة ،وابتهالنا في رحمتك المستنزلة ، تنبيهاً لاقدارك المصيبة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

للسداد ، الجارية بصالح العباد ، انما هو بحسب ما نحرز به فضل الرغبة اليك ، والسؤال لما لديك ، ونحن بحسن اختيارك اوثق منا بآرائنا ، وقضاؤك السابق من ورائنا ، فلك الحمد على قضائك ، والشكر على آلائك .

فصل

وكان الوزير فيهم يشترط فيه أن يكون قديم النعمة ، بعيد الهمة ، مكين الرأفة والرحمة ، كريم الغيب ، نقي الجيب ، مسدد السهم ، ثاقب الفهم ، واثباً عند الفرصة ، واصفاً للقصة ، مريحاً في الغصة ، موفور الامانة ، اصيل الديانة ، قاهراً للهوى ، مستشعرا للتقوى ، مشمرا على الساعد الاقوى ، جليل القدر ، رحب الصدر ، مشهور العفة ، معتدل الكفة ، حذرا من النقد ، صحيح العقد ، راعياً للهمَل ، نشيطاً للعمل ، واصلاً للذمم ، شاكراً للنعم ، خبيراً بسير الأمم ، ذا حنكة بالدخل والخرج ، عفيف اللسان والفرج ، غير مغتاب ولاعيّابة ، ولاملقٍ ولاهيابة ، مجتزئاً بالبلاغ ، مشتغلاً عند الفراغ ، مؤثراً للصدق ، صادعاً بالحق ، حافظاً للأسرار ، مؤثراً للابرار ، مبايناً بطبعه لخلق الأشرار ، وقد بان قدر هذه الرتبة بين الاقدار ، واعطى وزانها والحمد لله حقه عند الاعتبار . ونحن نذكر بعد اركان الوصاة ، ونفرغ لذكر حكمها المحصاة ، وفصولها المستقصاة .

الركن الأول

وهو المعقد الذي عليه المعول فيما يستشعر الوزير بينه وبين نفسه ، ويجعله هِجّيراه في يومه وأمسه .

واعلم أن المملكة البشرية ، الخليقة بالافتقار الحَرِيّة ، لما كان راعيها مركباً من أضداد متغايرة ، وأركان متفاسدة متضايرة ، يجذبه كل منها إلى طبعه ، بين آخذ برجله ورافع بضبعه ، لم يكمل فراسة ما وكل إليه بنفسه ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولا وفت بضم منتثرها آلات حسه ، فاحتاج إلى وزير من جنسه ، ينوب مهما غاب عن شخصه ، ويضطلع بتتميم نقصه ، ويتيقظ في سهوه ،ويجدّ عند لهوه ، فيحتاج من اتصف بهذه الصفة ، إلى كمال في الفضل ورجاحة في المعرفة ، يعدل بها ما عصى الملك من أمور ملكه ، ويوفي ماعجز من نظم سلكه ، حتى تبرز المملكة في أتم صفتها ، وتبلغ الكمال الأخير بمقتضى ضرورتها ، وتقوى الله عزوجل أولى ماقدمته ، ثم تزين نيتك لمن خدمته ، ومقابلة ثقته بك بالوفاء الذي سدت إن التزمته ، وحمل الخاصة والعامة على حكم الشرع فان لم تَبنِ الأمر على ذلك هدمته ، وأفضل ما وهب لك فيما قلدته من قلادة ، وعودته من عادة السيادة ، شمول الأمن وعموم الرضا وظهور الأمانة ورعاية الإحسان ، وإفاضة الرأفة في عالم الانسان ، وزيادة الكفاية بحسب الامكان ، واعلم أنه من لايضبط نفسه وهي واحدة لايضبط أمر الكثير من الناس ، على تباين الأغراض وتعدد الأجناس ،فاربأ بنفسك عما تجره الشهوات من النقص ، وازجرها عن كلف الحرص ، وألن جانبك لمن ظهر كماله ، وتقصرت به عنه أحواله .

واعلم أن بقاء النعم على كتدك ، مقرون ببقائها في يدك ، وجريان الأمور على مذهبك ، بحسب استقامتها بسببك ، وقل أن يتهيأ في هذا العالم عمل عار من الملامة ، وسالم من التجوز كل السلامة ، فليكن خطاك في الاحسان للإنسان ، لافي الاشارة بالفعل واللسان ، فقليل الخير ربما تخارفت ثمرته ،وآتت أكلها ضعفين شجرته ، وإذا هممت بزوال نعمة عن جان ، فاذكر كم تنال تلك النعمة من مكان ، وفيها من لم يستوجب عقابا ، ولا كشف في سرٍ نقابا ، وقد قالوا : الأشراف تعاقب بالهجران ، ولا تعاقب بالحرمان ، وربما أقالت حراً ركن إليها ولم تعلم ، ثم تأوه لفقد معروفها ولم تألمْ ، فاجعل هذه الذرائع شفعاء في بقائها ، ودواعي لاجرائها ، يتكفل لك بارئك باحراز السلامة ، ورفع الملامة ، والمثوبة في القيامة . واستعمل التواضع في هبوب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ريحك ، وتجاف على الجبهة والنجه[1] بتعريضك ، فربما خشن جواب لايغسل طبَعَه ، ولايوجد من يرقعه ، ولايزيله عقاب قائله ولايرفعه ، سيما فيمن استحق الموت ، أو تيقن الفوت . واصبر على ذوي الفاقة ، وأهل الإضاقة ، بجهد الطاقة ، وإياك والضجر ، فانه يكدر الصفو ، ويذهب العفو ، ويبقي الفلتة الشنيعة ، ويفسد الصنيعة ، وقد ركل أبو عباد الوزير رجلاً برجله ، فرفع إلى الخليفة من أجله :

قل للخليفة يا ابن عم محمد ... أشكل وزيرك إنه ركال
أشكله عن ركل الرجال وإن ترد ... مالاً فعند وزيرك الأموال

فتركها مثلاً يذكر ، وفلتة تنكر .

وإذا باشرت عملاً فتتبع عيونه دون فضوله ، وأبوابه دون فصوله ، ولا تشتغل بفروعه المتشعبة عن أصوله ، ثم اصعد بعد إليها ، واعطف عليها ، ولا تغن بفصوله عن جملته ، فيضيع سائره قبل إناءة الوقت ومهلته ، ولاترفعن عملاً عن وقت يسرده وينصه ، فان لكل وقت عملاً يخصه ، وأقل مايلحق من ازدحام الأعمال ، تطرق الفساد إليها والاختلال ، عند الاستحثاث والاستعجال ، وضيق المجال ، وتهيُّب العمل مطيلٌ للزمان ، منبىء عن ضيق الجنان . ولاتركن في الاستخدام إلى شفاعة ، غير نفاعة ، مالم تكن شفاعة الكفاية والأمانة والرعاية . واعلم بأن من ظهر حسن صبره ، على انتظام أمره ، حسن صبره على شدائده ، في حوادث الدهر ومكائده ، فالصبر قدر مشترك ، فيمن أخذ وترك ، والنفس لاتنفك عن معترك ، واعلم أن الراحة عند الحاجة إلى الحركة ، تهدي التعب الضروري لمن أغفله فيها وتركه . ولا تغفلن شيئاً تقلدته ، بعد ماحسبته من وظائفك وعددته ، فيظن بك من الخروج عن طبعك الذي جبلت

(١) النجه : استقبال الانسان بما يكره .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عليه بمقدار ماخرج إليه ، ولا تحتجب عن الناس يفش بغضك ، ويضعف من السياسة فرضك ، وتكتمك النصيحة سماؤك وأرضك ، ولله درّ القائل :

كم من فتى تحمد أخلاقه ... وتسكن الأحرار في ذمته

قد كثّر الحاجبُ أعداءه ... وسلط الذم على نعمتـــه

ولا يعجبك مابطن من مساويك ، ولتكن معرفتك بعيب نفسك أوثق عندك من مدح أبناء جنسك ، وانقبض عن العامة ومن يلابسها ، وامتنع من التكبر بمن يحاسنها ، ففي طباعها إهانة الملتبس بأشياعها ، وتنقص من اتصل برعاعها . واعلم ، بان احسانك للحرّ يحركه على المكافأة المحتملة ، واحسانك الى الوغد يحمله على معاودة المسألة ،فضع احسانك حيث وضعها الرأي الصريح، والاختيار الصحيح .

هذه أرشدك الله نقطة من يمٍّ ، وتافه من جمٍّ ، وحصاة من ثبير ،وقليل من كثير ، والنبيل من قاس الشيء بنظيره ، واستدل على الكثير بيسيره ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

الركن الثاني

فيما يستشعره الوزير مع الملك ، ليأمن عادية الأمر المرتبك

وإذا خدمت ملكاً زاد رأيك على رأيه ،وفضل سعيك في التدبير حسن سعيه ، فأره الاستهانة بزيدك ،وأقصر من إشراف جيدك ، واظهر التعجب بما فضل عليك به ، وسر من الحزم على مذهبه ، ولا تتبجح بتجاوز ما لأهل طبقتك ، وإذا أنفقت عنده الكفاية فاقصد في نفقتك ، فانه لا يحسن منه موقع قولك أو عملك، ويرى أن تعزز به أكثر من تحملك ، فيشرع في كسرك ،ويشرك إلى قسرك ، وإذا تعارض عندك العجز في مروءتك وديانتك ، وكفايتك وأمانتك ، فنزه الكفاية عنده عما يشين ، وارض بالنقص في المروءة لا في الدين ، فهو عليه أسهل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وفرق بين الحالين لايجهل ، وإياك أن يأنس بك فيها اخلالا ، أو يرى منك لهما إهمالا ، واحذر الإضرار بالناس لديه ، في سبيل النصيحة أو التوفير عليه ، كما توفر العامة على أنفسها الشحيحة ، وابْتَع له قلوب الخلق ، بمسامحتهم فيما قصروا له فيه عن يسير الحق ، فانك تسترخص له بذلك تملك الأحرار ، وتحسين الآثار ، واترك لشئونه الخاصة شئونك ، وحرك من أحسنت إليه على شكره دونك ، ليقف على أن سعيك له أكثر من سعيك لنفسك ، في يومك وأمسك ، ولا حظّ لك فيما لاتمسك . وإياك أن تُحيّا بمثل تحيته ، أو تُتلقَى بمثل ما يُلقَى به عند رؤيته ، أو ترفع بالسلام عليك الأصوات ، أو يسبق الناس بابك قبل باب الملك بالغدوات ، فكم جلب ذلك من الآفات ، وغيّر من الصفات . وإذا دعاك إلى لهوه أو شرابه ، وخصك بمزيد اقترابه ، فليكن الإعظام على الالتذاذ غالبا ، والفكر للحذر مراقبا ، واجعل التحرز منه في أوقات انبساطه اليك واجبا ، ولا تستهن من ذلك ماليس بهين ، وإياك أن تنم بك أسرّة وجه أو نظرة عين ، واجتنب لباس ثوبه ، وركوب مركبه ، واستخدام جميع مايتزين به ، فمن خدم السلطان لنباهة الذكر ولباس العزة ، لم يضره تقصير الرياش وقعود البزة ، ومن صحبه للذة والترف ، كان سريع المنصرف ، مسلوب الشرف .

فصل

وإذا خصك بمشورته ، وطلب رأيك لضرورته ، فلا تخاطبه مخاطبة المرشد لمن استهداه ، وأره حاجتك لما أبداه ، وإذا اعترف بخطأ يواقعه في بعض انظاره ، أو أعلن يوماً بسوء اختياره ، فأجلْ فكرك في التماس أعذاره ، وتوجيه عاره ، واحتلْ بفطنتك في رمّه ، واحذر أن توافقه على ذمه ، وذلل نيتك لكلامك ، واصرف إلى ترك التجاوز جلّ اهتمامك ، فالكلام إذا طابق نية المتكلم حرك نية السامع ، وإذا صدر عن القلب أخذ من القلب بالجامع ، وإذا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

توجه عليك عتبه لشبهة في أمرك عرضت ، أو ظنة تعرضت ، فلا تقبل رضاه عنك تمويها ، مالم تقم حجتك فيها ، ولا تسأم الإلاحة ، وأره أنك لاتؤثر الحياة دون براءة الساحة ، حتى ترفع الظنة رأسا ، ولا تخش من تبعة الإحنة بأسا ، ويكون ذلك شاهداً عنده بفضلك ، وزائداً له في محلك ، ولِنْ له إذا غضب ، والق الكريهة دونه وإن رهب ، واصرف لحظك عنه إن أكل أو شرب ، وسدّ بينك وبينه باب العتاب ، بالمشافهة والكتاب ، ولا تخف من طاعة الملك إلا لما وافق طاعة ربه ، يضع الله خلّتك في قلبه ، واذكر قول الوزير المتقدم وقد أمره الملك المسلط بقتل رجل وتلطف في سؤاله عن ذنبه ، بما لايجر عظيم إنكاره وفظيع عتبه : « أيها الملك السعيد ، لو كنت مالكي وحدك ، لأنفذت من غير مسألةٍ أمرك ، وشرحت بالامتثال صدرك ، ولكنك تملك ظاهري وحدك ، ولي من تملّكه وما بعده ، وإذا أنفذت عهدك نكثت عهده ، وإذا خرجت من يدك دخلت في يده التي لاتمنع ، فكيف أصنع ، وله الأمر أجمع ، وأنا لك في طاعته من شِراك نعلك أطوع . فبكى الملك الجاهل لصدق حجته ، وحمل الرجلين من العفو على أوضح محجته ، وهذا القدر كاف لأولي الألباب ، من هذا الكتاب .

الركن الثالث

فيما يحذره من تقدم الملك عليه ، في الأمر الذي أسند إليه ، وجعل زمامه في يديه

واعلم أن من العار بارتياضك ، وسداد أغراضك ، أن يتقدمك الملك بخلق هو أولى بك ، وأدخل في حسابك ، من الصبر على الملاهي ، والانقياد للأوامر الدينية والنواهي ، وهجر الدعة ، في الضيق والسعة ، وشدة اليقظة ، والذكر الذي تعنى به الحفظة ، من ذكر اقطاع ، أو مقدار ارتفاع ، أو اسم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مرتزق ، أو حصر عمل مفترق ، أو التفكر في مصلحة المملكة ، فانه إن راض ذلك دونك وملكه ، ونهجه منفرداً وسلكه ، وتميز فيه بالملكة وسامحك في التقصير ، والباع القصير ، وسرّه سبقه إياك ، وتقدمه عليك فيما ولاك ، فهو مما يحطّ لديه أمرك ، ويوهن قدرك ، وان كان قد غرك ، ويرى أنه لا مؤازر له فيما نابه ، ولا كفيّ فيما عرا بابه ، وأمّل منابه ، واجتهد أن يراك شديد الحرص ، أنفاً من النقص ، ولا يحس منك في وظيفتك بتقصير ، ولا يشعر منك فيه ولو بيسير .

فصل

واحذر ان تسول لك قوة الامكان ودالة السلطان ، الزيادة في الاستكثار من الضياع والعقار ، والجواهر النفيسة والأحجار ، وغير ذلك من الاختزان والاحتكار ، وما تدعو اليه جلالة المحل ونباهة المقدار ، فيتقسم فكرك وشغلك ، ويضيع سعيك وفضلك ، ويحصيه عليك من يضمر لك الافتراس ، ولا يمكنك من كيده الاحتراس ، ممّن حُرم حظه ، أو وكس معناه أو لفظه ، أو متطلع إلى أوفى مِنْ ميزانه ، متسام إلى ما وراء إمكانه ، اقصرت به السياسة من شأنه ، فأضرم الحسد ناره ، وأذكى أواره ، وأعظم صغيره واثاره ، ويتشرف إلى مناهضتك من كان عنها مقصرا ، أو يجهر من كان متسترا ، ويستدعى الارتياب بما جلبه الحظ إليك ، والاستظهار به عليك ، وطمع الحاسد فيما لديك ، واحرز مع الملك البُلغة التي تقيمك ، وتوسدك مهاد العافية وتنيمك ، وترفع كلك ، وتشمل أهلك ، حتى يعلم أنك بقليل ما يجريه لك العدل لديه ، أغنى منه بالكثير الذي بين يديه ، واجتنب الانهماك في الاستكثار من الولد ، والحشم أولي العدد ، والأذيال التي تنبت في أقطار البلد ، فان الحاسد يراهم بذخا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ونعمة ، وانماهم مئونة ونقمة ، وداعية إلى استهلاك عتاد ، أو تدمير مستفاد ، وإثارة حساد ، لهم ورد جاهك وعليك صدره ، ولهم نفع كدحك وعليك ضرره ، والاقتصاد في أمرك أدوم لسلامتك ، وأرفع لملامتك ، وأغض لطرف حاسدك ، وأصدق لفوائدك ، وأروح لقلبك ، وأخلص فيما بينك وبين ربك . وفيما أعثرتْ عليه التجارب ، ووضحت منه المذاهب ، أنّ المتقلل من الوزراء طويل عمره ، ناجح أمره ، مظفر بأعدائه وأضداده ، قريب من الحال المرضية في معاده . ولتكن همتك مصروفة إلى استقراء حال المملكة واعتبارها ، وتأمل أقطارها وما عليه كل جزء من أجزائها ، من سداد ثغورها ودفاع أعدائها ، ونقصان ارتفاعها ، واختلال أوضاعها ، أو تدبير مصلحة يبقى لك ذكرها وخبرها ، ويحسن بك أثرها ، وخَفْ مصارع الدالة فهي أدوأ دائك ، وأكبر أعدائك .

واعلم أن الاقتصاد مع إمكان التوسعة ، والتنزل مع الرتبة المرتفعة ، ينبىء عن قوة رأيك ، وهمة عزمك واستقامة سعيك ، والرغبة في الترف ، والميل إلى السرف دالة على غلبة الهوى على الشرف ، وأجل ما جملت به زمانك ، ورفعت شانك ، خدمة الشريعة وإحياء رسومها ، وقمع البدع وإزالة قنومها ، يدع لك الجهد ، ويتخلد المجد . وتولّ ذلك متى أمكنك بنفسك ، ولا تكله لغيرك من أبناء جنسك ، حتى إذا وقفت على غميزة يجب تغييرها ، ويتعين نكيرها ، فارفع إلى الملك عينها ، وقبح عنده شينها ، ثم حُلْ بينه وبينها ، وأظهر للناس أن قلقه بما أهمّك منها أكثر من قلقك ، وخلقه في إنكارها متقدم لخلقك ، تهد إليه بذلك مايزيد في مكانتك ، ويغبط بأمانتك ، ويشهد بمؤازرتك وإعانتك . وحسبنا الله ونعم الوكيل .

الركن الرابع

في تصنيف أخلاق الملوك ، السير بمقتضاها والسلوك

وإن للملوك أخلاقاً يضطر الملاطف من خدامها إلى استعلامها ، فيجعلها أباً

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

للسياسة وأحكامها ، وهي أن الملك لايخلو أن يكون سخياً باذلا ؛ أو ممسكاً باخلا ، وقوياً على تدبيره ،أو ضعيفاً يلقى المقادة لوزيره ، أو سيئاً ظنه ،أو ممن الاسترسال فنه ،أوحسن البشرعند الافتراض ،أو منقبضاًعند الأغراض . وإذا تركبت هذه الخلال تركيباً طبيعيا ،وترتبت ترتيباً وضعيا ،وتقابل امتزاجها ، بلغ إلى ستة عشر ازدواجها ، وتأتّى للحكيم من الوزراء علاجها ،وربما انحرفت هذه الخلق أو توسطت ،وربما أفرطت وربما فرطت ، وعلى هذا الترتيب ارتبطت ، فان كان سخياً آثر دور الشكر على توفير دور المال ، وكلف بحسن الذكر في جميع الأحوال ، وإن كان بخيلًا فبضد هذه الحال .وإن كان غلبت عليه قوة التدبير استدعاك إلى المشاركة في سعيك ، وأحرز عليك بذلك الحجة في رأيك . وإن غلب عليه الضعف ركن إلى تدبيرك ،وفوض إليك الأمر في قليلك و كثيرك ، وخلاك ومالا يحمد من عواقب أمورك . وإن كان حسن الظن تمكنت من إحكام تدبيرك لدولته ، وبلغت منهـــا أقاصي مصلحته . وإن كان سيء الظن شغلك عن الإخلاص باحراز الحجة عليه ، عن التفرغ لكثير مايحتاج إليه . وإن كان البشر عليه غالبا ، كان لنشاطك جالبا . فاجعل هذه الأخلاق أصولا ، ورغبك لها موصولا ، وصاحبه على خلقه وعقله ، وانقل منها بالتلطف ماقدرت على نقله ، وأعط صورة من تخدمه ماينا سب تأليفها ، ويرفع تكليفها ، وأنفق ماينفق عندها ، وجار أخلاقه واجتنب ضدها ، يحسن أثرك ، ويعظم شانك ، وينفذ لك سلطانك .

الركن الخامس

في سيرته ، مع من يتطلع لهضبته ، ويحسده على رتبته

واعلم ، أنه قلّ مايخلو مَنْ حلّ محلك من علوّ القدر ، وعزة الأمر ، من قرين يعانده ، أو حاسد يكايده ، أو متطلع يمت إلى الملك بقربى ، أو

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

محلٍ أناف في اللطافة وأربى ، يتوهم أن وسيلته تبلغه مايتطاول إليه من منزلتك ، وتلبسه لباس تجلتك ، أو ذي همة جامحة ، ولأعنان الشرف طامحة ، يرى حظه مبخوسا ، وان مثله لايكون مرؤسا . وآخر رآك مُقَتِّراً فيما آثرت فيه رضا من حكم بفضلك ، وحسن الإبقاء في المملكة بعدلك ، واحتمل المدافعة حسن موقعك وجلالة محلك ، فظن تراخيك لاخلال في التدبير ، واساءة في التقدير ،وكلّهم ينظر إلى الملك من أصغر جوانبه ، ويخفى عنه أكثر مما يظهر من مواهبه ، ولطف المحل والتقدم في العلم وإن كان يغير مَنْ حَلّ محلك ، وناهض فضلك ، ليس من الاضطرار أن يكون لمنزلتك أسبابا ، ولا لطلبته أبوابا . والحق أن تجاهد هذه الجماعة ، وتقمع منها الطماعة ، بالزيادة في فضائلك الذاتية ، والتحرز من ملابسة الدنية ، والمناصحة لمن خصك بالمزية ، ولاتكشف في المجاهدة وجهاً ، ولاتبد فيهم غيبة ولا نجهاً ، واكسر سورة حسدهم باحسانك ، وسوغهم المعروف من وجهك ولسانك،واصطنع أضدادهم ممن ضلع عليهم ، ومثل لديهم ، تحرس منهم غيبك ، وتدافع عيبك ، وتجلو ريبك ، من غير أن يحس منك لهذا الغرض بفاقة ، ولايشعر بإضاقة ،فإنك تنشر معايبهم المطوية ، وترميهم من أشكالهم بالبلية ، ثم تتلقى بعد ذلك فوارطهم بحسن الإقالة ، وتتعمد سقطاتهم بالحلالة ، وتكر بكرم العفو على سوءاتهم السوالف ، وتخليهم وما بقلوبهم من الحسائف ، فان تسلط الجاهل على نفسه فيما قصر عنه من عدل ، وأخطأ نيله من فضل ، أعزّ على حوبائه ، من ظفر أعدائه . ولا تركن إلى من وترته ، ولا لمن حركت حسده وأثرته ، وخذ حاشيتك بترك التعالي ، والتطامن لذوي الشرف العالي، والإقصار من المطامع ، واذالتك في المسامع ، ولتتخطّ العدل في الناس إلى الفضل ، والبشر إلى البذل ، والقول الصالح إلى الفعل ، واختر من تصطنعه لخدمتك ، وتنصبه مظهراً لنعمتك ، بنسبة ماشرط في الاختيار في رتبتك ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فإن حسن الصنيعة يرد عنك سوء القالة ، وقبح الإدالة ، ويصون عرضك من الإذالة .

الركن السادس

فيما تساس به الخاصة والبطانة ، وذوو الدالة والمكانة

واعلم أن من الخاصة مريض لشدائد الدولة ومهماتها ، ومتسم من القاب الغناء عنها بأكرم سماتها ، فهو يرى لنفسه اليد ، واليوم والغد ، وآخر متعلق بقرابة الملك على حسب قوة أسبابهم ، ووزن مافي حسابهم ، فإن اطعت فيهم الملك ظلمت المملكة حقها ، وإن عدلت خالفت موافقة الملك وباينت طرقها ، والصواب التمسك بالترتيب على الإطلاق . ووضع الناس من المملكة موضع الاستحقاق ، واستعمل إرضاء الملك في تفضيل من آثرته بحسن العطية ، وباين بين أصناف الشفوف وأنواع المزية .

واعلم ان ميل الأعلام إلى رفعة المنزلة ، أعظم منها إلى الصلة ، وراعِ أمر الجماعة ، فتمم ما وقع بالمستحق من التقصير ، بكرم المواعد وإلقاء المعاذير ، وأصلحْ قلوبهم للملك بكل مايتكفل بجبر الكسير ، وأجذ بها إلى طاعته بحسن أوصافك وصحة رأيك في القليل والكثير ، وانحله فضائلك من غير شَوْبٍ بالمنّ ولا تكدير ، تَصْفُ لك سريرة صدره ، ويأتمنك على جميع أمره ، واحذر انصباب القوم عليك ، وإخلالها بمراكزها من داره وانصرافها إليك ،والتحامها بك ، وتمسكها دون الملك بأسبابك ، اعتماداً على نصرة جنابك ، وقيامك بأمرها وحسن منابك ، وخف وضعها إياك من قلوبها وعيونها ، وكافة شؤونها ، بحيث لا يؤثر الملك رضاه ، ولا يحمد مقتضاه ، فربما زرع لك في قلبه سوء الطوية ، وأثبت لك الحقد وخبث النية ، وخبأ لك وأنت لاتعلم أعظم البلية ، ولتمكن في النفوس أن رضاك برضاه معقود ، وأنت لا تعمل إلا ما رآه ، ولا تؤثر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

إلا ما ارتضاه ، وأن لك منه منزلة محدودة ، ودرجا معدودة ، من زادك عليها ظلمك ، وجلب ألمك ، وأن في قبولك لها وإيثارك ، ما يزري على فضل اختيارك . وعامل الملك في ولده بحفظ الغيب ، والسلامة من الريب ، واحفظ له الرسم واستبقه ، واجعل حقهم دون حقه ، وإذا دعوت لهم فاشترط السعادة بحرمته وطاعته ، واجعل رضاه من الولد رأس بضاعته ، واحذر من إهمال هذا الغرض وإضاعته ، وإياك أن يفضل ولدك ولده ، ولا عدتك عدده ، ولا تنافسه في شيء قصده ، ولا تظهر حاشيتك على حاشيته ، ولا تتشبه غاشيتك بغاشيته ، ولا تنازعه تجلته ، ولا تعمر منزلته ، ولا تحل محله من جيشه ، ولا تغر عليه في نباهة بنائه وفضل عيشه ، وتفقد نفسك فانزل على الرقى اختيارا ، قبل أن ينزلك اضطرارا .

فصل

وإذا انصرمت إليك من إحدى حرمه رغبة ، أو تأكدت في مهم قربة ، أو نذرت إليك شفاعة ، أو توجهت في حاجة طماعة ، فلا تسمع رسالتها ، ولا تعتبر مقالتها ، إلا من لسان إنسان ، موصوف عند الملك باحسان ، حالٍّ من ثقته بمكان ، واحترز في محاورتها من فلتات اللسان وهفواته ، وراجع خطابها مراجعة الأخ لأكرم أخواته ، أو الابن لأبرِّ أمهاته ، ولا تصغ في مخاطبتها إلى خضوع كلام ، ورقة تحية وسلام ، وانفر من ذلك نفرتك من السموم الوحشية ، والمهالك الردية ، واسدل دون الولد والحرم جناح التقية ، واكتم سره عن أبناء جنسك ، لا بل عن نفسك ، واجعل قلبك له قبراً ، وأوسعه ضنانة وصبرا ، فان تزاحم عليك تزاحماً تخاف منه معرة النسيان ، وإغفال ذكرها على الأحيان ، فاتخذ لها رمزاً يفردك بعلمها ، ولا تبح لسواك شيئاً من حكمها ، ولا تغفل مع

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الأحيان ما جرى به رسمك من عرض كتاب وارد ، أو خبر وافد ، أو بريد قاصد ،واستأمره فيما جرت به العوائد ، وإن خصت لديه منزلتك،ولطفت منه محلتك ، فلا تترك أن يمرّ ذلك على سمعه ،مغتنماً لوعيه ، وأذقه حلاوة الاستبداد بأمره ونهيه ،واترك له منفذاً يحتاج إليه بابه عند مغيبك ، لما عينه العدل من نصيبك ، ولازمْ سدته مع الأحيان ، وانك ان تجتمع معه على فراغ فيبقى الملك مضيعاً بمقدار ذلك الزمان ، وإذا انصرفت إلى منزلتك ، فاخْلُ بعمالك وكتابك ، وذوي الرأي والنصيحة من أصحابك ، على إحكام حال الملك التي أناطها بك ، فاذا أمسيت فاشغل طائفة من ليلك بمدارسة شيء من حِكَم الدين ، وأخبار الفضلاء المهتدين ،واجلُ صدأ نفسك بالبراهين ،ومجالسة العلماء والصالحين ، واختم سعيك ببعض صحف النبيئين ، وأدعية المرسلين والمتألهين ، لتختم يومك بالطهارة والعفة ، والحلم والرأفة ، واعتدال الكفة ، وليهون عليك النصب والوصب ،والعمر المغتصب ،انك مهتد بهدي ربك الذي يرعاك ،وينجح مسعاك ، ويثيبك على ما إليه دعاك .

قال فلما استوفى النمر مقاله ، وأحرز الشبل سؤاله ، وقرر ، حاله ، انصرف مبتهجاً إلى خدمته ، وصرف النمر إلى العبادة وجه همته ، ثم لحق بعد ذلك بجوار ربه ورحمته . وقيد الحاكي هذه المحاورة لتلفى رسماً يقتفى ، وعلماً يهتدى به إذا ذهب الأثر وعفا . وحسبنا الله ونعم الوكيل .

فاس : المغرب الأقصى **عبد القادر زمامة**

* * *

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net